فقلتُ: اذْهَبا قُولا لها: أنتِ هَمُّهُ،
وكِبْرُ مُناهُ من فصيحٍ وَأَعْجَمَا
إذا بِنْتِ بانَتْ نِعْمَةُ العيشِ وَالهَوَى،
وَإِنْ قَرُبَتْ دارٌ بِكُمْ فَكَأَنَّمَا
يَرَى نِعْمَةَ الدّنْيا احْتَوَاها لِنَفْسِهِ،
يَرَى اليَأْسَ غَبْناً[1]، وَاقْتِرابَكِ مَغْلَمَا
فلم تَفْضُلِينا في هوًى، غيرَ أَنَّنا
نَرَى وُدَّنا أَبقى بَقاءً، وَأَدْوَمَا

آخر عهده بالرباب

[الطويل]

وآخرُ عهدي بِالرَّبابِ مَقالُها،
لنا ليلةَ البطحاءِ، والدّمعُ يَسْجُمُ:
طَرِبْتَ، وَطاوَعْتَ الوشاةَ، وبيَّنتْ
شمائلُ من وجدٍ، ففيمَ التجرّمُ؟[2]
هَلُمّ فَأَخْبِرْني بِذَنْبيَ، أَعترِفْ
بعُتبِاكَ[3]، أو أعرفْ إذاً كيفَ أُصرَمُ
فَإِنْ كانَ في ذنبٍ إليكَ اجترمتُه،
تَعَمَّدْتُهُ عَمْداً، فنفسيَ أَلوَمُ
وَإِنْ كانَ شَيْئاً قالَهُ لَكَ كاشِحٌ،
كَما شاءَ يُسدِيهِ عَلَيَّ، ويُلجِمُ
فَصَدَّقْتَهُ، لم أستطِعْ أَنْ أَرُدَّهُ،
ولم أَمْلِكِ الأعداءَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا

(١) الغبن: الخسارة والإجحاف بحقوق الآخرين.
(٢) التجرّم: اتهام امرئ بجرم وهو بريء.
(٣) العتبى: منح الرضى.

فقلْتُ، وكانَتْ حُجَّةً وافقَتْ بها
منَ الحقِّ عِنْدي بعضَ ما كُنْتُ أعلمُ:
صَدَقْتِ، ومَنْ يعلمْ فيكتُمْ شَهادةً
على نفسِهِ أو غيرِهِ، فهو أظلمُ
فَأَمَّا الذي فيهِ عَتَبْتِ، فَأَنْفُهُ
لِأَنْفِكِ في صَرْمِ الخلائقِ أَرْغَمُ
فَعُتباكِ مِنِّي أَنَّني غيرُ عائِدٍ،
وأُقسِمُ بِالرّحمٰنِ لا نتكلَّمُ
وَقُلْتُ لَها: لو يسلُكُ الناسُ وادِياً
وتَنحَينَ نحوَ الشرقِ عمَّا تيمّموا[1]
لَكَلّفني قَلْبي أُتابِعُكِ، إِنَّني
بِذِكْراكِ أُخرى الدّهرِ[2] صبٌّ متيَّمُ[3]
أَرَى ما يلي نَجْداً إِذا ما حَلَلْتِهِ،
جَمِيلاً، وأهوى الغَورَ إِنْ تَتَّهِموا[4]

أبوء بذنبي

[الطويل]

يَلُومُونَني في غيرِ ذنبٍ جَنَيْتُهُ،
وغيريَ، في كلّ الذي كان، أَلْوَمُ
أَمِنْتُ أُناساً أنتمُ تَأمنُونَهم،
فزادوا علينا في الحديثِ وأَوْهَمُوا
وقالوا لنا ما لم نَقُلْ، ثم أكثروا
علينا، وباحوا بالذي كُنْتُ أَكْتُمُ

(١) تيمّموا: توجّهوا.
(٢) أخرى الدهر: طول العمر.
(٣) صبّ متيّم: عاشق ولهان.
(٤) تتهموا: تنزلوا بتهامة.